إشكال

جامعة الفقراء

لا تزال الجامعة اللبنانية، تثير نقاشات حادة في الاوساط المهتمة وغير المهتمة. لا تزال الجامعة اللبنانية تبدو وكأنها مبنية على قواعد ظرفية تشدد على سياسة الباب المفتوح على العواصف، غير المقيد بضوابط علمية، لحمايتها وحماية استمرارها.

لم ترث الجامعة الا الذكريات، لم ترث تجارب تحديث. بقيت في مساحتها التاريخية القديمة. انها متروكة، لكل السائد إبان المرحلة الاخيرة من حكم السلطنة العثمانية. لم تصل الى تجربة التحديث الكمالية حتى، تلك التي مضى على مثولها في الفضاء التركي سنوات بعيدة. لا مجال هنا، للدخول في الآليات المتبعة في استنزافها بطرق حادة، بسبب فساد النظام السياسي في لبنان وتخلف النظام الاداري، وبروز الدعوات الانفصالية او الاستقلالية. الجامعة اللبنانية في دوامة مصيرها في الآونة الراهنة. لا احد يسأل عنها، لا احد يريد لها ان يعاد تأسيسها بعيدا من الشعارات ـ الكليشيهات ولا في منأى عن التجاذبات السياسية والدينية والمذهبية، التي لن تنتهي الا بتدمير صرحها، من الداخل، تحت وطأة الازمات الاقتصادية والصدمات العنيفة المتلاحقة.

موقع الجامعة اللبنانية، مرسوم اليوم بأدوات التناحر والاستراتيجيات العسكرية المقنعة بالتكتيك السياسي. جامعة الفقراء اللبنانيين، جامعة المجلين اللبنانيين في المسرح والفن التشكيلي والهندسة والهندسة الداخلية والديكور في مسار المقولات النظرية الضدية، غير المتحققة. انها في الوسط، جامعة اهتراء، مؤقت بقنابل عديدة، ابرزها غياب المناهج والروح العصرية الراقية والديمقراطية التي وسمتها في مراحل مصيرية في تاريخها. ولأنها في مقابل الجماعات الدينية والمذهبية والتيارات السياسية، أضحت ملتها الوحيدة الضعف من استبداد الآخرين بها، ومن سيادة النبرة الريفية فيها. لم تعد جامعة تقليدية حتى، في نأيها عن حركة التمدين المقرونة بإدخال التعليم على نطاق واسع الى مختلف المناطق والطبقات في الدولة اللبنانية. لا تحديث للتربية فيها، ما يعني عدم انتعاش الافكار الليبرالية، لصالح نظام الملل والبنى السياسية والاجتماعية والثقافية المرتبطة به. اساتذتها وطلابها، محاصرون بالتزمت السياسي والثقافي، ومتروكون تماما، بلا حماية وبلا قوى تساهم في الانتاج. طلاب معهد الفنون الجميلة ـ الفرع الاول، اشتكوا في خلال افتتاح المهرجان الدولي الرابع للمسرح الجامعي، اساتذة معهد الفنون الجميلة ـ الفرع الاول اشتكوا خلال افتتاح المهرجان من عدم توفر عناصر الاستمرارية المبدئية.

البيروقراطية المعززة والمتعززة، قضت على السياسات الادارية البسيطة، التي درأت عن الفرع دخوله النهائي في الكوما الادارية. لم تصلهم الدعوة الى المشاركة في المهرجان الجامعي، على الرغم من توجيهها اليهم، مما اضطرهم الى الاتصال المباشر الشخصي بإدارة المهرجان، لتقديم مسرحيات إبداعهم الفردي والجماعي. لم يقتصر، غياب عناصر القوة والمنعة على ذلك، حين وصل الامر الى غياب كلي لاهتمام «التيوقراطيين» و«الثوريين» و«الاصلاحيين» عن خط المساهمة في تدبير الامور. تصل المنح الخارجية الى الجامعة، ولا تصل الى اصحابها. حال تسيب مطلقة، يشكو منها الجميع، ويعتبرها البعض جزءا من سياسة ترك الامور على غاربها، في صالح سياسة تفريغ الجامعة اللبنانية خطوة خطوة.

ابرام عقد اتفاق موتها عبر قتلها، وصل الى هذه المرحلة، لانها متعددة ولا تدين بالولاء كله الى طرف معين واحد. خسارة، لن يسمع دويها الحقيقي، الا بعد انكشاف حضور الجامعة كمصلحة حيوية في لبنان، في تاريخ لبنان، بعد فوات الأوان.

عبيدو باشا

أنجز فيلمه الروائي الثاني مع فريق عَمِلَ من قلبه

غسان سلهب: أريد فيلماً عن اللحظة الحاضرة.. التي لبنان عالق فيها

أنهى المخرج السينمائي اللبناني غسان سلهب تصوير فيلمه الروائي الطويل الثاني، «أرض مجهولة» (عنوان مؤقت)، ويستعد حاليا لتنفيذ العمليات الفنية المختلفة، التي يُتوقع أن تبدأ خلال الأيام القليلة المقبلة، في فرنسا. يُذكر أن سلهب نال دعما ماليا من «الوكالة الحكومية للفرنكوفونية»، في دورتها الأولى لعام ٢٠٠١، التي انعقدت في مدينة لياج البلجيكية، في الثالث والرابع من أيار الفائت.

شارك في تمثيل «أرض مجهولة» كارلوس شاهين وكارول عبود وعبلة خوري وربيع مروة ووليد صادق، الى عدد كبير من ممثلي الأدوار المُساندة. علما أن المخرج اختار زمن ما بعد المأساة اللبنانية، بدخوله في نتائج الحرب من دون تناولها (أي الحرب) اطلاقا، في فيلم «يحكي التحوّل والضياع» في تلك المرحلة، في إطار البحث في تساؤلات مثل: «أين نحن اليوم؟ وماذا نسمّي المرحلة الحالية: هل هي إعادة بناء، أم ولادة جديدة، أم شيء آخر ومختلف؟»، من دون إعطاء اجوبة حاسمة ومباشرة، إذ إن الفيلم لا يسعى الى حلول، بقدر ما يرغب في طرح الأسئلة.

«السفير» التقت المخرج سلهب في حوار حول مشروعه الجديد، الى بعض العناوين السينمائية الأخرى.

غسان سلهب: لا أصوّر بيروت بل فيها

■ ما الذي يُمكن أن تقوله الآن، بعد انتهائك من تصوير فيلمك الجديد، «أرض مجهولة»؟

□ تعاونت مع فريق عمل عظيم جداً، بكل صراحة. أراحني جداً، وجعلني أتفرّغ للتفكير بعمليتي التصوير والاخراج. هذه مسألة مهمة. يقول الفرنسيون: ليس لدينا مال، لكن التجربة غنية. كل واحد من الفريق اشتغل من كل قلبه، وبقوة. اذا أردت تسمية البعض، أقول إن زوفيك توركيان وهويدا عازار كانتا مساعدتين رائعتين، كما لو أن الأولى يدي اليمنى، والثانية يدي اليسرى.

منذ البداية، ساعدني الجميع، فبدوا كما لو أنهم «يحملون» الفيلم معي. أحيانا، أثناء التصوير، كنت أترك كل شيء لملاحقة مسائل الانتاج والتمويل. في مثل هذه الحالات، أنت بحاجة الى أشخاص كهؤلاء. الممثلون أعطوني ما أريد، والعلاقة بهم مغرية.

أستطيع القول إن كل هذا أفضى بي الى الحصول على مواد غنية للمونتاج. لو كان لديّ إمكانيات أكثر، أو وقت أطول، لذهبت أبعد. غير أني كنت أعرف هذا منذ البداية.

■ واجهتك صعوبات عدة أثناء اشتغالك على «أشباح بيروت»، وقبيل عرضه، خصوصاً على مستوى الانتاج. مع هذا، غامرت مجدّداً في العودة الى بيروت، لتحقيق فيلم سينمائي جديد فيها.

هل صادفتك المشاكل الانتاجية نفسها؟ أو هل ثمة مشاكل أخرى؟

□ لم تكن المشاكل نفسها. ثمة فرق. في «أشباح بيروت»، لم تكن لديّ إمكانيات إلا للتصوير فقط. اليوم، توفّرت الإمكانيات حتى الانتهاء من الفيلم. في المرة السابقة، لم تكن لدى الذين اشتغلوا معي الخبرة الكافية. الآن، شعرت أن ثمة كيمياء تسري بين الجميع، وتحمل الفيلم. انتظرت ثمانية أشهر قبل البدء بمونتاج «أشباح بيروت»، على عكس ما جرى معي الآن.

أضف الى ذلك أن تكاليف الأول لم تصل الى أربعمائة ألف دولار أميركي كإنتاج، في حين أن تكاليف الثاني بلغت خمسمائة ألف دولار أميركي. غير أن قيمة الدولار الأميركي بالنسبة الى الفرنك الفرنسي أيام الفيلم السابق (١٩٩٨)، ليست هي نفسها اليوم.

أقول أيضا بخصوص الفيلم الجديد، انه ليس من الضروري أن أبحث كثيرا عن مُموّلين. وتكلفة انتاجه تصل الى مليون دولار: قد يكون الرقم عاديا، لكن، بانتظار الحصول عليه، «يطلع أسنان للدجاج».

ثمة نقطة أودّ التوقّف عندها: ففي منطقتنا، يحمل المخرج مشروعه تحت إبطه سنوات عدة. يتعب في حمله، ويشعر بالمرارة وبثقله عليه. أراد المنتجون الفرنسيون أن أبدأ التصوير في أيلول المقبل، أو تشرين الأول من العام الجاري. ربما كان معهم حق. لكني شعرت أني لو انتظرت كل هذا الوقت، لنقصت الطاقة مني. أنا لا أفتش عن قصة وممثلين، بل أبحث عن أمور أخرى. من الضروري أن تشعر بوجود مثل هذه الطاقة القوية للعمل فيك، لكنها ليست موجودة فيك الوقت كله. فلو حصل هذا، لهلكت.

بيروت دائماً

■ من خلال بعض الأفلام التي شاهدتها لك، مثل «في الغواية» و«ذات يوم» و«بعلبك» (مشروع سينمائي تمّ تحقيقه مؤخراً، وهو من توقيع غسان سلهب ومحمد سويد وأكرم زعتري) و«أشباح بيروت»، بدت لي المدينة ـ بيروت، تحديداً، وكأنها هاجس قوي عندك، ليس بالمعنى الفولكلوري ابدا، بل بمعنى البحث في علاقة ملتبسة ما معها، خصوصا أنك عشت حياتك متنقّلا بين أكثر من مدينة (داكار ـ السنغال، بيروت، باريس). فأنت لا تصوّر المدينة، بل في المدينة.

□ أنا لم أتوجد في هذه المدينة، لذا أستطيع القول إني اكتشفتها. ولدت في أفريقيا، وجئت الى هذه المدينة. أصدقاء لي يقولون إن ثمة مسافة بيني وبين ما أصوّره. ربما لأني ولدت في مكان، وأهلي من هنا، وأعيش في مكان ثالث (باريس). دائما أجيء صوب الأشياء، دائما أذهب الى الأمكنة. حتى بالنسبة الى باريس، فأنا أذهب إليها ولا أعود. هذا تفصيل مهم جدا بالنسبة إليّ.

في فيلمي الجديد، بيروت مهمة. حتى لو خرجت منها، هي موجودة. لا أحاول توضيح علاقتي بها، وليست المسألة تصفية حسابات لا مع المدينة ولا مع الناس. ربما لديّ، فقط، تصفية حسابات مع المصارف (يضحك). لديّ علاقة قوية بالمدينة، أعتقد أنها ظاهرة. هذا برهان على أن المدينة قوية. مخرجون كثر يُصوّرونها، وكل واحد يراها بطريقة مختلفة. كما قلت أنت: أنا لا أصوّر مدينة بيروت، بل أصوّر فيها. ليست المدينة موضوعا. لا أتناول بيروت وأدرسها.

حسنا: أنا لا أصوّر أشياء لا أعرفها أو لا أعيشها. ولا أقول أيضا إني أصوّر فقط ما أعرفه وأعيشه.

تصعب الاجابة على سؤالك. أنت تنجز أفلاما لا لتجيب على أسئلة. في أفلامي، لا أحلّل نفسيا. كل شيء في المدينة (والبلد) حافة. تشعر أن ثمة ما هو ممتلئ بالحياة والضغط، وفي المقابل فراغ كبير. «المليء» و«الفراغ» في وقت واحد، ومعا. ليس كل واحد لوحده. هذا ما أشعر به وبقوته، في المدينة. هذه المسافة ـ الفسحة تغريني وتجذبني، وهي ما تشعر به عند الناس أيضا. المدينة تظهر على وجوه الناس، والعكس صحيح أيضا. العالم المعاصر، كما قال أحدهم، يذهب سريعا الى الناس. لا وقت للمرء كي يستوعب ما يجري من حوله. هذا ما أشعر به، أيضا، وبقوة، في المدينة. التغييرات الهائلة، الخراب وإعادة البناء، حصلت وتحصل سريعا في المدينة. أنا لست ضد إعادة البناء، لكن كل شيء يحدث بسرعة.

وصلت الى خلاصة نهائية: سأصنع أفلاما هنا، في بيروت. هل يحقّ لي ذلك؟ سؤال طرحته على نفسي بعد «أشباح بيروت». ربما أحقّق مشروعا سينمائيا في السنغال، لكن، وبشكل أساسي، علاقتي السينمائية تبقى أقوى ببيروت، حتى ولو بقيت أتنقّل بينها وبين باريس.

■ عادة، كيف تأتيك فكرة فيلم ما؟

□ لا أعرف. أعتبر أن أي مشروع يأتي من أشياء عدة: ما أعيشه، من أعاشر، ماذا أقرأ أو أسمع. في النهاية، أنا لا أبحث عن قصة.

مشروع فيلمي الجديد بدأ مع نسرين خضر (حقّقا معا «في الغواية»). كنت أمضي أياما طويلة أشاهد وأتأمل وأرى وأسمع، وأدوّن ملاحظاتي على دفتر صغير. حتى أثناء توليف «أشباح بيروت». بعد هذا الأخير، أدركت أني لن أستطيع التوقّف عن تحقيق أفلام هنا، في بيروت. أكرّر مرة أخرى: لا أفتّش عن بيروت كمناخ أو كديكور. أنا أنظر كثيراً، وأسمع كثيراً.

بعد «أشباح بيروت»، رغبت في تحقيق فيلم عن الآني، عن الوقت الحالي. إذ بدا لي واضحا أن لبنان بات، الآن، عالقا: لا يتقدّم ولا يجرؤ على التطلّع الى الوراء. الوقت الحالي جسر بين الماضي والمستقبل. لبنان عالق وسط هذا الجسر. ربما تقطّعت أوصال هذا الجسر، فعلق لبنان في مكان ما. لا أعرف. لا أصنع خطابات، وفي فيلمي الجديد يشعر المُشاهد بكل ذلك، يلتقطه بطريقة أو بأخرى، من دون أن يراه مباشرة.

الإخراج المشترك

■ بين «أشباح بيروت» و«أرض مجهولة»، أنجزت «بعلبك» مع المخرجين محمد سويد وأكرم زعتري. لم تكن المرة الأولى التي تتعاون فيها مع سينمائي آخر لإخراج عمل ما. «في الغواية»، كان الإخراج مشتركا مع نسرين خضر.

ما أودّ معرفته، يتعلّق بطبيعة العمل مع سينمائيين آخرين لتحقيق مشروع/ فيلم واحد.

□ الإخراج المشترك صعب جدا، غير أن تاريخ السينما شهد أناسا تعاونوا مع بعضهم البعض لتحقيق أعمال مشتركة. في الواقع، يتمّ تحديد ما الذي يفعله أحدهم وما الذي ينجزه الآخر. في لبنان، مثلا، حقّق خليل جريج وجوانا حاجي توما فيلما مشتركا (البيت الزهر).

أيا يكن، فالمسألة بالنسبة اليّ صعبة. واجهتنا، نسرين خضر وأنا، صعوبات عدة أثناء العمل على تحقيق «في الغواية»، إذ بدا صعبا العثور على نساء يتحدّثن بصراحة عن مواضيع حميمة للغاية. البعض كان يغير رأيه في اللحظة الأخيرة قبيل التصوير، والبعض الآخر يتحدث أمام الكاميرا باختلاف حقيقي عما قاله خلفها. غير أن الصعوبة ليست في مثل هذه التفصيلات التي يمكن أن يواجهها المخرج، حتى ولو كان يعمل على المشروع لوحده. الصعوبة تكمن في أن للفيلم سلطة واحدة. يجب أن يكون ثمة شخص واحد لتقرير التفصيلات التقنية: أين توضع الكاميرا؟ كيف نصوّر؟ ما هي الأسئلة التي يجب طرحها، وكيف؟ ما هو أسلوب التوليف؟ أن تشارك شخصا آخر في هذه الأمور، يبدو لي أمرا صعبا، حتى ولو كان الآخر قريبا منك. ربما لأن «مخّي» لا يلتقي مع هذا الآخر. أو ربما لأن نسرين لم تكن لديها الخبرة. المسألة كانت تحدّ. لا أعتقد أني سأخوض هذه التجربة مجدداً.

اما بالنسبة الى «بعلبك»، فالأمر مختلف. منذ البداية، كان الفيلم مشروعا مشتركا بيننا، بمعنى أننا جلسنا مع بعضنا البعض، ورغبنا في العمل معا، ففكّرنا بالموضوع مليا، وتناقشنا في تفصيلاته المختلفة. نحن ثلاثة أصدقاء، كل واحد منا يحترم الآخر وعمله. كان ثمة رغبة في العمل معا، وفي تحقيق مشروع سينمائي ما لا يكلّفنا كثيرا. أنجزناه بخمسة آلاف دولار أميركي فقط. أردنا أن ننجز شيئا ما معا، أن «نلعب» في تحقيق عمل ما: أن «نلعب» مع فكرة الطريق التي لا تصل، ومع فكرة الوقت. أي اللعب مع المكان والزمان، إذ إن السينما تتشكّل منهما أيضا. في «بعلبك»، كان ثمة سخرية فظيعة من أمور كثيرة.

أشير هنا الى أني مستعد لتجربة ثانية مثل «بعلبك»، شرط أن نشتغل فيها أكثر، وألاّ نخاف، بل أن نعطي أنفسنا وقتا أطول. لن أتحدّث أكثر من ذلك عن هذا الفيلم، فهو لم يُعرض بعد. لكني لن أتردّد في خوض تجربة مماثلة، لأني أحب هذين الشخصين (سويد وزعتري)، وأحب شغلهما.

■ هل حدث أن شعرت بعدم رضاك على عمل حققته؟ لماذا؟

□ من يقل لك العكس، يكن كاذبا. من يخبرك أنه راض، يكن غبيا. أعتقد أن المخرج شخص غريب، يشبه تلك الأم التي أنجبت ولدا معاقا، فإما أن تقبله كالآخرين، وإما أن تقتله.

قليلا ما أشاهد أفلامي السابقة، وخصوصا ليس في وقت المونتاج، بل بعده. بالنسبة الى «أشباح بيروت»، شاهدته ثلاث مرات. في مهرجان «نانت»، مثلا، قرّرت أن أحذف منه دقيقتين أو ثلاث دقائق.

أبقى قلقا، لكني أقبل أفلامي. فالذين يصنعون أفلاما، يصلون الى لحظة قناعة ما: بعض الأفلام أفضل من غيرها. مثلا. مرة، أنجزت فيلما قصيرا ولم يعجبني، فرميته. ثمة عمل تقوم به، ووقت طويل تمضيه لإنجازه، وهذا مهم للغاية، إذ إن المخرج يعطي وقتا ويتعذّب. كل هذا صحيح، لكن يجب ألا يعميني.

ربيع مروة وكارول عبود في مشهد من «أرض مجهولة»

حاوره: نديم جرجوره